

## كيفية مواجهة الإمام علي (ع) مع المحاربين في عهد حكومته مع التأكيد على نصّ نهج البلاغة

تاريخ القبول: ١٤٣٩/١/٤

تاريخ الاستلام: ١٤٣٨/١٠/٢٨

نرگس السادات مبلغ\*

### ملخص

من المواضيع المطروحة في الفقه السياسي الإسلامي، والذي يُعتبر هدفاً قرآنياً، هو موضوع المحاربين. وفي هذا السياق، يُعتبر نموذج سلوك الأئمة المعصومين (ع) والذين يُعتبرون المفسرين الحقيقيين للقرآن الكريم، من أفضل المعايير في إطار هذه المواجهة. كان الإمام علي (ع) في مواجهة المحاربين خلال خلافته التي استمرت خمس سنوات. كان المحاربون في زمن أمير المؤمنين (ع) ينقسمون إلى ثلاث مجموعات؛ الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان أمير المؤمنين (ع) يجد لزاماً على نفسه مكونات محددة في موضوع المواجهة مع هذه المجموعات الثلاثة. تسعى هذه المقالة للإجابة على هذا التساؤل والذي مفاده، هل الإمام علي (ع) في مواجهته لهذه المجموعات الثلاثة كان لديه أسلوب واحد أو أنّ أسلوبه كان وفقاً للظروف واختلاف الأفراد، وذلك عن طريق تجميع النصوص وتحليلها بهدف توضيح أسلوب الإمام (ع) في مواجهته للمحاربين.

الكلمات الرئيسية: المحارب، الإمام علي (ع)، الحرب، النصيحة، الهداية، نهج البلاغة.

## المقدمة

المحارب في هذه الآية الكريمة هو الفرد الذي يرفع السلاح (سواء كان مسلماً أم مشركاً) (العيّاشي، بي تا: ٣١٤/١، حديث ٨٩)، ويعمل على نشر الخوف وإيجاد حالة إنعدام الأمن العام (سواء في المدينة أم خارجها) (المصدر السابق، ١/ ٣١٥، حديث ٨٩؛ الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٨، حديث ١٢؛ الطوسي، ١٤٠٧: ١٠/ ١٣٢، حديث ١٤١؛ الطوسي، ١٤٠٩: ٣/ ٥٠٤-٥٠٥؛ طباطبائي، ١٣٧٤: ٥/ ٥٣٤).

وفقاً لهذه الآية المباركة، إنّ حكم المحاربين يتمثل في قتلهم، أو تعليقهم وقطع اليد والرجل من خلاف أو نفيهم. وفي نهاية الأمر، سينتظر المحاربين عذاب شديد في الآخرة.

هذه الأحكام تتناسب مع ما يقوم به المحارب؛ فلو كان قد قتل نفساً فحكمه الإعدام، ولو كان قد قتل نفساً وسرق مالا، فإضافة إلى إعدامه يجب استرداد المال الذي سرقه. ولو كان قد سرق مالا دون أن يقتل نفساً، فجزاؤه قطع يده ورجله من خلاف. ولو كان قد أوجد الرعب والخوف ونشر حالة من عدم الأمان، فحكمه النفي من البلاد. (الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٧-٢٤٨، حديث ١١، ١٣؛ الطوسي، ١٤٠٧: ١٠/ ١٣٢، حديث ١٤٢؛ الطوسي، ١٤٠٩: ٣/ ٥٠٤). ولو أعلن التوبة قبل إلقاء القبض عليه لا يطبق عليه أي من الأحكام الآتية الذكر (الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٨، حديث ١٣؛ الطوسي، ١٤٠٩: ٣/ ٥٠٩؛ طباطبائي، ١٣٧٤: ٥/ ٣٥٣). والله يغفرها كلّها.

أما النقطة الأهم التي تُستخلص من الروايات فتتمثل في أنّ تنفيذ الحكم على المحارب من صلاحيات الإمام ولا صلة له بأولياء الدم، أي عَقُوا أصحاب الدم المحارب القتال، على الإمام القيام بإعدامه، ولو قام أولياء الدم بأخذ الدية منه عوضاً عن الإعدام، فأيضاً على الإمام القيام بتنفيذ حكم الإعدام فيه. (العيّاشي، بي تا: ١/ ٣١٤-٣١٥؛ الكليني، ١٤٠٧: ٧/ ٢٤٥-٢٤٨، حديث ٣ و ٥ و ٨ و ١٢؛ الطوسي، ١٤٠٧: ١٠/ ١٣٢، حديث ١٤١).

على هذا الأساس، إنّ المحارب هو من يرفع السلاح بيده ويعمل على إيجاد عدم الاستقرار و انعدام الأمن والأمان العام. يجب على الحكومة منعه من القيام بهذا العمل وتنفيذ الحكم والعقوبة عليه بما يتناسب والعمل الذي قام به. ولو أعلن التوبة والندامة قبل إلقاء القبض عليه، يشمله العفو.

## مصاديق المحاربين في زمن الإمام علي (ع)

من أجل بحث سلوك وتصرف الإمام علي (ع) مع المحاربين في عهده، بداية يجب معرفة المحاربين في زمن الإمام (ع). يبدو أنّ مصاديق المحاربين في عهد الإمام علي (ع) هي نفسها التي دفعت الإمام (ع) لمحاربتهم، أي أصحاب الجمل والقاسطين والخوارج. " ... ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلتُ، وأما القاسطون فقد جاهدتُ، وأما المارقة فقد دَوَّخْتُ... " (الشريف الرضي، لا تا: ٢٩٩-٣٠٠، الخطبة ١٩٢).

المحارب، مصطلح وضع القرآن الكريم أساسه وأصدر أحكاماً له. توجد روايات عن الأئمة المعصومين (ع) في هذا السياق تحتوي على تعريف المحارب والأحكام المتعلقة به وفقاً لآيات القرآن الكريم. بالنظر إلى ما جاء في الفقه السياسي الإسلامي فيما يخص المحاربين، يبدو أنّ مواجهتهم ضرورية في حال لم يتوبوا، ولكن نوع المواجهة والكمية يعودان إلى حكم الإمام. ولكن ما يسعى إليه هذا البحث، هو السلوك العملي للقادة المعصومين (ع) في هذا السياق، يمكن أن تكون فترة خلافة الإمام علي (ع) بالنظر إلى ما ورد في المصادر الروائية وعلى الأخص كتاب نهج البلاغة، مثلاً جيداً لبحث هذا التصرف العملي مع المحاربين.

بداية، تمّ تعريف موجز للمحاربين وأحكامهم وفقاً للقرآن الكريم والروايات ووجهات نظر الفقهاء والمفسرين في هذا البحث. وخلال الفصل التالي، تمّ التعرف على أمثلة من المحاربين في زمن خلافة الإمام علي (ع) وفقاً لهذه التعاريف. ولاحقاً، تمّ التطرق إلى موضوع وجوب مواجهة المحاربين من وجهة نظر الإمام علي (ع)، وهل أنّه من وجهة نظره (ع) كانت مواجهة هؤلاء الأفراد أو تلك المجموعات أمراً ضرورياً أم لا؟ وفي نهاية المقال، تمّ البحث في سلوك الإمام (ع) مع مثل هؤلاء الأفراد أو المجموعات.

## المحارب في اللغة

تعود جذور المحارب في اللغة إلى الحرب. فالحرب نقيض السلم (فراهيدي، ١٤١٠: ٣/ ٢١٣، ابن منظور، ١٤١٤: ١/ ٣٠٢) الذي هو في الأصل بمعنى القتل والسرقة، وفي الحالة الأخيرة يجب أن يكون معها دليل (ابن فارس، ١٤٠٤: ٢/ ٤٨؛ مصطفىوي، ١٣٦٠: ٢/ ١٨٤-١٨٥). وحينما تنتقل الحرب إلى باب المفاعلة، أي المحاربة، وتصبح مشتركة، فإنّها تفيد معنى الصراع أو النزاع المستمر (مصطفىوي، ١٣٦٠: ٢/ ١٨٤). كذلك في الآية ٣٣ من سورة المائدة المباركة يأتي المحارب بمعنى الإستمرار في معارضة السلم، والإستمرار في الصراع أو النزاع والمعصية (فراهيدي، ١٤١٠: ٣/ ٢١٤؛ ابن منظور، ١٤١٤: ١/ ٣٠٣؛ مصطفىوي، ١٣٦٠: ٢/ ١٨٥).

## المحارب من وجهة نظر القرآن والروايات

موضوع المحارب المذكور في سورة المائدة: (إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم). (المائدة/٣٣). يُفهم من ظاهر الآية أنّ المحارب هو من يحارب الله ورسوله ويفسد في الأرض. وفقاً للمصادر الروائية والتفسيرية، المقصود من

قاتل عثمان: " أنت قمت بخداع ابن عمك عثمان، وحسدته، وأثرت الناس ضده، إلى أن لقي حنفة بحضورك ولم تدافع عنه لا بيدك ولا بلسانك، وباليتم بدلاً من أن تنفذ مكرك وتزويرك بحقه في السر، لقمتم بنصرته علانية كي تحفظ على عذرك بين الناس، مهما كان ضعيفاً، وتبرأ من دمه وتدافع عنه، مهما كان الدفاع ضعيفاً وقليلاً". (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٢/٧).

لكن أمير المؤمنين (ع) قد أعلن صراحة في خطبته أن إدعاء معاوية في طلب الثأر بدم عثمان غير مبرر وله قصد آخر من هذا الموضوع؛ كان قصده التشكيك بشرعية حاكم الزمان والتمرد ضده. على أية حال، يمكن استنتاج هذه النقطة من الرسائل المدونة أدناه: " وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْغُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ وَلَا لِعَمْرِي لِيُنْزَعَ عَنْ غَيْبِكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفْنَهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٣٦٩، الرسالة ٩).

" وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِدَمِ عُثْمَانَ وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبُهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا" (المصدر السابق: ٣٧٠-٣٧١، الرسالة ١٠).

## ٢-٢. اعتبار البيعة مع الإمام غير صحيحة

يُعتبر معاوية خلال رسالته للإمام (ع) بيعة الناس معه باطلة وحكمه غير شرعي: " ومن أجل الوصول إلى الحكم شمرت عن ساعديك ورفعت رداك وأعلنت استعدادك، وطلبت من الناس أن يبايعوك كما أجرت أشرف المسلمين على بيعتك، وبعد ذلك الأعمال التي قمت بها." (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٢/٧).

بطبيعة الحال لم يكن قصده الخير أو الإصلاح، بل من منطلق السلطة وحض الناس على التمرد على الإمام والاتكاء على مسند الحكم. كما حصل بعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) حينما وجه خطاباً لأهل العراق أطاق اللثام من خلاله عن بعض أهدافه السابقة حيث اعترف أنه كان يهدف إلى حكم الناس بالإمساك بالإمارة وليس بدفع الخير للإسلام والمسلمين". (المصدر السابق، ١٦/٤٦). تصرف معاوية هذا يمكن إعتباره مقدمة لمحاربة الإمام (ع).

## ٢-٣. الإدعاء الباطل

وخلال عملية سعي معاوية للحصول على القوة والسلطة، ادعى الحكم وأعلن أنه يليق به. هذه الحقيقة انعكست بصورة جيدة في كلام الإمام (ع): " وَالْبَأْوَلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَيْمًا أَطْلَعِكَ مَطْلَعِ سَيُوءِ عَلِيٍّ لَأَنَّكَ لَأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضِيَالَتِكَ وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ فَمَا أَبْعَدَ قَوْلِكَ مِنْ فَعْلِكَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٤٥٥، الرسالة ٦٤). " وَحَيَّاشَ لِمَنْ أَنْ تَلِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صِدْرًا أَوْ وَرْدًا أَوْ

المقصود من الناكثين أصحاب الجمل، أي طلحة والزبير وعائشة والذين رافقوهم. كما أنّ المقصود من الفاسطين معاوية ومناصريه، بينما المارقة هم الخوارج.

## ١. أصحاب الجمل

يُعد أصحاب الجمل أمثلة واضحة للمحاربين في عهد الإمام (ع). بعد أن خان طلحة والزبير الإمام علي (ع) أعلنوا الحرب عليه. (الشريف الرضي، لا تا: ٦٣، الخطبة ٢٢). حيث قاموا ومعهم عائشة بإثارة الناس ضد الإمام علي (ع). (المفيد، ١٤١٣: ٢٣٢-٢٣٤). حين وصلوا إلى البصرة لم يكتفوا بايجاد الفرقة والخلاف بين سكان هذه المدينة فحسب (المصدر السابق: ٢٧٨-٢٧٩)؛ بل عمدوا على نقض عهدهم مع عثمان بن حنيف (والي البصرة) والذي لم يلحق أذى بالناس إلى حين وصول أمير المؤمنين (ع)، كما قاموا بإلقاء القبض عليه وتعذيبه وقتل أصحابه وأمناء الصناديق على بيت المال. (المصدر السابق: ٢٧٩-٢٨١؛ ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/٦٠٩-٦٢٠).

فأعمالهم توضح على أفضل وجه طبيعتهم كمحاربين؛ لأنهم أفسدوا في الأرض، وأوجدوا حالة من عدم الاستقرار وقاموا بقتل عدد كبير من الناس. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/٦٠٩-٦٢٠).

يوضح حديث الإمام (ع) سلوك هذه المجموعة، ويبيّن نقض العهد وإيجاد الفوضى والشغب ضده: " إنهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألبا الناس عليّ" (الشريف الرضي، لا تا: ١٩٥، كلام ١٣٧). " فقدموا على عمالي وخزان بيت المسلمين الذي في يدي وعلى أهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم وأفسدوا عليّ جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرًا وطائفة عضبوا على أسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين" (المصدر السابق: ٣٣٦-٣٣٧، كلام ٢١٨).

## ٢. الفاسطون

يُعتبر معاوية من مصاديق المحاربين وفقاً لما جاء في كلام الإمام والمصادر التاريخية. فعلى الرغم من أن أمير المؤمنين (ع) كتب رسالة لمعاوية بعد أن تبوأ الخلافة وطلبه بالبيعة، إلا أنه بسبب نيته الإستحواذ على الحكم لجأ إلى التمرد ورفض أوامر الإمام (ع)، فقد وصف بيعة الناس مع الإمام (ع) بأنها غير صحيحة وعرف نفسه على أنه الطالب بدم عثمان. وبعد أن رد الإمام (ع) على الإدعاءات الكاذبة لمعاوية (المصدر السابق: ٤١٠، رسالة ٣٧)، أعلن معاوية الحرب على الإمام (ع). تصرفات معاوية التي أعلن بموجبها الحرب وفي نهاية الأمر توضح كونه محارباً هي كالتالي:

## ١-٢. المطالبة بدم عثمان

وجه معاوية اتهامات للإمام علي (ع) من خلال رسالة بعثها إليه، وفي النهاية يعرف الإمام (ع) على أنه عامل ثورة الناس ضد عثمان لا وبل

يرى الإمام علي (ع) أنّ مواجهة المحاربين أمر واجب، و تعدّها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما يؤكّد في حديثه أنّ عدم القيام بهذا الأمر يصل إلى مرتبة الكفر بما أتى به الرسول الأعظم (ص) والقرآن الكريم والبقاء في نيران جهنّم (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ الشريف الرضي، لا تا: ٨٤ و ٩١، الكلام ٤٣ والخطبة ٥٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧/٢-٢٠٨). بالتأكيد إنّ هذه المواجهة لن تتبلور إلا بعد اجتياز بعض المراحل ومراعاة بعض الظروف، وسوف تنطرق إلى تفاصيل هذه المراحل والظروف في قسم كيفية مواجهة الإمام علي (ع) للمحاربين.

ضرورة مواجهة المحاربين في نهج البلاغة مبنية على ثلاثة عناصر؛ العنصر الأول: ضرورة توقيف كلّ من سعى للفساد في الأرض وأصبح ظالماً. العنصر الثاني: ضرورة الالتزام بالبيعة ووجوب إعادة من نكث بيعته أو الذي يطلب شيئاً لاحقاً له فيه. العنصر الثالث: ضرورة الدفاع عن الثغور والأرض على كلّ مسلم.

#### ١. ضرورة توقيف المفسدين والظلمة

يُستفاد ثلاث نقاط في حديث الإمام (ع) حول المفسدين والظلمة؛ قسم توضّح النتيجة النهائية لمواجهة الظلمة والمفسدين، بينما القسم الآخر يبيّن معيار رخصة عدم المواجهة، وأخيراً وجوب هذه المواجهة وفقاً لحكم القرآن والسنة النبوية الشريفة كما يراها هو (ع). يرى أمير المؤمنين (ع) في قتال الظلمة سبباً لنجاة الإنسان ومصداً ليقينه: "أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِيءٌ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّنْفِ لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَ قَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْبَيِّنِينَ." (الشريف الرضي، لا تا: ٥٤١، الحكمة ٣٧٣).

ومن جانب آخر، يعرف الإمام (ع) نفسه في خطبة القاصعة كما أمور للحرب مع الظلمة: "أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ النَّكْثِ وَ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَ أَمَّا الْفَاسِقُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ وَ أَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ... وَ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ لَيْنَ إِذْنَ اللَّهُ فِي الْكِرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلَنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا." (المصدر السابق: ٢٩٩-٣٠٠، الخطبة ١٩٢).

يمكن استخلاص هذا المعنى من خطبة الإمام (ع) والتمثّل في أنّه (ع) نهض لمواجهة المحاربين وفقاً لأحكام القرآن الكريم (المائدة: ٣٣)، ومن ناحية أخرى أضفى على كلام رسول الله (ص) صفة العملية والذي تفضّل قاتلاً: "يا علي، بعد فترة من رحيلي عن هذه الدنيا سوف تحارب هذه المجموعات الثلاث: الناكثين والقاسطين والمارقين" (ابن طاووس، ١٤١٣ق: ٤١٥؛ المجلسي، ١٤٠٣ق: ٣٨/١٢٣).

أَجْرِي لَكَ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا" (المصدر السابق: ٤٥٦، الرسالة ٦٥). "ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة، وولادة أمر الأئمة بغير قدم سابق، ولا شرف باسق." (المصدر السابق: ٣٧٠، الرسالة ١٠).

بعد هذه التصرّفات، أعلن معاوية الحرب على الإمام بصورة رسمية. وعلى هذا الأساس، يجب اعتباره محارباً. يقول معاوية في رسالة للإمام (ع): "والآن وأنا مع جيش من المهاجرين والأنصار مسلّحين بسيوف شامية ورماح قحطانية، أهدف إلى أن يحاكموك أمام الله، لذا فكّر في نفسك والمسلمين وسلّمني قتلة عثمان من القريين إليك ومناصريك." (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٤٣/٧). وبعد انتهاء معركة صفّين، دأب معاوية على إرسال مجموعات من اللصوص إلى الأراضي التي كانت تخضع لحكم الإمام (ع) من أجل بثّ الفوضى وعدم الاستقرار في البلدات والمدن وزعزعة الأمن. (التنقي، بي تا: ٤١٦-٤١٩، ٤٢٣-٤٠٠، ٤٧٩-٤٢١)؛ الشريف الرضي، لا تا: ٦٦ و ٧٢، الخطبة ٢٥ و ٢٩). جميع هذه الأدلة توضّح على أكمل وجه طبيعة معاوية وأتباعه في المحاربة.

#### ٣. الخوارج

وفقاً لما ورد في المصادر التاريخية، إنّ الخوارج من مصاديق المحاربين وتشملهم آية المحاربين. بعد معركة صفّين كان الخوارج بداية في الكوفة وبسبب تجمّعهم وارتفاع عددهم إلى حدّ كبير، توجهوا إلى منطقة من توابع الكوفة تُسمّى "حروراء" وهناك أطلقوا صرختهم التي تمثّلت في: "أنّ الحكم لله ولو كره المشركون، في الواقع إنّ علياً ومعاوية أشركا في حكم الله". (ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ٤١٢/١).

حينما نهض الإمام (ع) لمواجهة هؤلاء، كانوا قد أفسدوا في الأرض وقتلوا مجموعة من أصحابه الصالحين، من ضمنهم عبدالله بن خباب، وشقوا بطن زوجته التي كانت حاملاً آنذاك، كما قتلوا ثلاث نسوة وعمدوا على قتل حارث بن مرّة مبعوث الإمام (ع) من أجل الوقوف على أحوال هؤلاء (الدينوري، ١٣٧١: ١٦٧/١-١٦٨؛ البلاذري، ١٣٩٤: ٣٦٨؛ البحراني، ١٣٧٥: ٣٣٦/٢) وكانوا يرون في الحرب الردّ الوحيد لدعوات الإمام (ع) (الدينوري، ١٣٧١: ١٦٨/١-١٦٩؛ الشريف الرضي، لا تا: ٨٠، الخطبة ٣٦؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ٣٨٠/١). كلّ هذا شاهد على كونهم محاربين.

#### ضرورة مواجهة المحاربين من وجهة نظر الإمام علي (ع)

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل مواجهة المحاربين من وجهة نظر الإمام علي (ع) ضرورة أم لا؟ وفي حال الضرورة ما الذي يترتب عليه؟

الحالة فإنَّ الحضور الذين بايعوا يجب أن يبقوا على بيعتهم ويوفوا بعهودهم، بينما يقبل الغائبون بآراء الحضور ويعملوا وفقاً لذلك. من الطبيعي إذا لم يكن الأمر كذلك، فإنَّ المجتمع سوف يشهد عدم الاستقرار كما أنَّ إدارته ستواجه مشكلة (الشريف الرضي، لا تا: ٥٢٢-٥٢٣). وبهذه الطريقة، فإنَّ الإمام (ع) قد عمل في موضوع مواجهة المحاربين وفقاً لكتاب الله وسنة رسوله (ص). (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٤، الخطبة ١٦٩)

كما أنَّه (ع) يوضِّح معيار المواجهة مع أصحاب الجمل (الناكثين) على النحو التالي: "... فَفَدِمُوا عَلَيَّ عَامِلِي بِهَا وَخُرَّانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَفَقْتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا وَطَائِفَةً غَدْرًا فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لَقَتَلْتَهُ بِمَا جُرْمُ جَزَاءِ لِحْلَ لِي قَتَلَ ذَلِكَ الْجَيْشُ كُلَّهُ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكَرُوا وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ دَعَا مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ". (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٧، الخطبة ١٧٢).

يقول الإمام علي في تكلمة هذا الحديث، لو حصل خلاف هذا الأمر في المجتمع، لا مفر من مواجهته؛ بداية عن طريق الدعوة للعودة ولاحقاً عن طريق القتال. وهذا الحكم وفقاً لما ذكره الله سبحانه وتعالى: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الحجرات/٩)" (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٢٤٣/٣). ووفقاً لهذا الأساس فقد تفضّل الإمام بالقول: " فَإِنْ شَعَبٌ شَاغَبَ اسْتَعْبَى فَإِنَّ أَبِي قُوَيْلٍ ... أَلَا وَ إِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ" (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٨، الخطبة ١٧٣).

أوضح أمير المؤمنين (ع) في الخطبة السابقة دليلاً في قتال أصحاب الجمل، وأنَّ الذنب الكبير الذي اقترفوه وسبب في قتالهم هو قتلهم لعامله في البصرة وخزّان بيت مال المسلمين في تلك المدينة، حيث أسروا البعض منهم ثم قتلهم لاحقاً، والبعض نالوا الشهادة بعد أن مُنحوا الأمان من قبل أصحاب الجمل (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٦٠٧-٦٠٨/٣). ومن الواضح أنَّ هذه الأفعال من مصاديق الظلم والفساد.

يقول قطب الراوندي من شارحي نهج البلاغة: الرخصة في قتل هؤلاء يعود إلى أنَّهم قد شملتهم الآية الكريمة "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً....." (سورة المائدة: ٣٣) وهم مصداق للآية الكريمة المذكورة آنفاً (الراوندي، ١٣٦٤: ١٥٨/٢). فخرج هذا الجيش على الإمام العادل يصل إلى مرتبة الحرب مع الله والرسول (ص) كما أنَّ قتل ممثلي الإمام (ع) وخزّان بيت مال المسلمين ونهب بيت المال وإيجاد الفرقة والشقاق بين المسلمين وتخريب النظام الاجتماعي للمسلمين يمثل الفساد في الأرض، كما صرّحت به الآية الكريمة. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٦١٩-٦٢٠/٣).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

ويبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

يبدو من حديث أمير المؤمنين (ع) أنَّه لا يرى مقاتلة الظلمة فريضة إلهية فحسب، بل أن تركها وتجاهلها مصدر كفر المرء؛ ردَّ الإمام (ع) على أحدهم ممَّن اقترح عليه التوقف عن مقاتلة أهل الشام (القاسطون) بالقول: إِمَّا الْقِتَالُ، وَإِمَّا الْكُفْرُ بِمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ (ص). فالله لن يرض عن خلقه لو ارتكبت المعاصي في الأرض بينما هم يلتزمون السكوت ويتجاهلون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لذا، فإنَّ رأيي أنَّ الحرب أسهل من الوقوع في قيود وسلاسل جهنم. (المنقري، ١٤٠٣: ٤٧٤؛ ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٢٠٧-٢٠٨/٢).

٢. ضرورة الالتزام بالبيعة ووجوب إعادة ناكثي العهد وطالبي السلطة لاشكَّ أنَّ البيعة تُعقد عن طريق آراء الناس، ولكن بسبب عدم إمكانية حضور الجميع، فإنَّ الحاضرين يُعتبرون شهوداً للغائبين؛ وفي هذه

اللَّهُ تَوْبَ الذُّلِّ وَشَمْلَةَ الْبَلَاءِ وَذِيَّتْ بِالصِّغَارِ وَالْقِيَامَةَ وَضُرْبَ عَلِيٍّ قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأَدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخُسْفِ وَمُنْعَ النَّصِيفِ ... فَوَاللَّهِ مَا غَزِيَّ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَشْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا." (الشريف الرضي، لا تا: ٦٩-٧١، الخطبة ٢٧).

وأيضاً هذا الأمر المهم يكمن في خطبة أخرى للإمام (ع) في معركة صفين حيث يرى الحياة الحقيقية من خلال الانتصار على العدو ولو قُتل المرء في هذا الطريق، كما يرى (ع) الهزيمة موتاً ولو نجح المرء: "فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَ الْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ" (المصدر السابق: ٨٨-٨٩، الخطبة ٥١).

### كيفية تصرف الإمام مع المحاربين

لا تُعتبر الحرب هدفاً في أي مدرسة إلهية، بل هي وسيلة. فقد كانت غزوات الأنبياء، وعلى الأخص رسول الإسلام (ص)، وجهاد قادة الحق وفقاً لهذا الأساس. بمجرد أن قبل أمير المؤمنين (ع) مسؤولية قيادة المسلمين، واجه الحقائق والحاسدين والأعداء وعبدة السلطة والجاه والمستغلين، ونتيجة لما سبق فقد اضطر إلى مواجهة ثلاثة مجموعات في ميادين الوغى، وهذه المجموعات الثلاثة هي عبارة عن الناكثين (أصحاب الجمل) والقاسطين (معاوية وأصحابه) والمارقين (الخوارج). لكن في مواجهتها نكبت الإمام (ع) في بداية الأمر على الإرشاد والنصح والتوضيح والحديث والإستدلال، فقد كان (ع) يبعث بالرسائل تارة ويطلب من العدو العودة إلى طريق الله سبحانه وتعالى، بينما تارة أخرى كان (ع) يوفد أفراداً ذوي خبرة وواعين، سواء محايدين أو حتى متفقين مع العدو، من أجل الهداية والإرشاد، وحتى نفسه (ع) كان يواجه المعارضين ويدخل في نقاشات معهم. (جعفري، ١٣٧٢: ١ / ٤٨٠ - ٤٨١).

ومن خلال قراءة السيرة الحكومية للإمام علي (ع) فيما يخص مبادئ وقواعد اللعبة الخاصة بالتعامل مع المحاربين، نتطرق إلى ذهن عدّة أسئلة: من أو أي جهة يمكنها التعامل مع المحاربين؟ هل يمكن لأي مسلم التعامل والتصرف مع المحاربين حينما يشاهد تصرفات تُعتبر مصاديق للمحاربة؟ ماهي قواعد التعامل مع المحاربين؟ هل التعامل مع المحاربين في جميع الظروف يخضع لاسلوب واحد، أو أنه متغير وفقاً للظروف والمجموعات المختلفة؟

### ١. شروط التعامل مع المحاربين

يتضح من تعليمات أمير المؤمنين (ع) أنه لا يمكن لكائن من كان أو أي مجموعة من مواجهة المحاربين والتصرف معهم، وهذا العمل يتطلب مؤهلات ضرورية معينة. أهم ميزة يحتاجها العمل يتمثل في البصيرة، ومع بدء فتنة الجمل يقول (ع) بشأن مؤهلاته في التعامل مع أصحابها: "... وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبْسُ

عَلَى أَدْبَارِهَا وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَ التَّعَنُّ لِسُنَّتِهِ" (المصدر السابق: ٢٤٤، الخطبة ١٦٩).

"اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي وَ نَكَنَّا بِيَعْتِي وَ أَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَلَا تُحْكِمِ لُهُمَا مَا أَبْرَمَا وَ أَرْهَمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَ عَمِلَا وَ لَقَدْ اسْتَنْبَتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ فَغَمَطَا النَّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَاقِبَةَ." (المصدر السابق: ١٩٤-١٩٥، الكلام ١٣٧).

لم يقبل معاوية أوامر الإمام (ع) وكان يطالبه أشياء لا يبرر لها (المصدر السابق: ٤٥٥-٤٥٦، الرسالة ٦٥؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٢ / ٧).

بعد أن تولى أمير المؤمنين (ع) الخلافة كتب رسالة إلى معاوية طالبه الحضور، لكن معاوية الذي كان يهدف إلى الاستيلاء على الحكم، رأى بيعة الناس للإمام (ع) غير صحيحة وعرف نفسه المطالب بدم عثمان ونتيجة لهذا بدأ بالتمرد وعدم إطاعة أوامر الإمام (ع) وفي النهاية أعلن الحرب على الإمام (ع) (الشريف الرضي، لا تا: ٣٧٩-٣٧٠ و ٤١٠، الرسالة ٩ و ١٠ و ٣٧؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١٦٢ / ٧ - ١٦٣).

كما ذكر الإمام (ع) بهذا الصدد: "وَالأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلْمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ فَمَا أَبْعَدُ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٤٥٤-٤٥٥، الرسالة ٦٤).

### ٣. ضرورة الدفاع عن الثغور والأرض

أحد البنود الخاصة بمواجهة المحاربين يتمثل في الدفاع ضد أي إعتداء على الثغور؛ الأمر الذي يوجه الإمام (ع) إلى مالك الأشتر يبين هذا الوجوب ويوضح أنه من ضروريات الدفاع أمام الأعداء والمعتدين: "هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَيْدُ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَيْتَكَ بَيْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاَهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا." (المصدر السابق: ٤٢٦-٤٢٧، الرسالة ٥٣).

بعد معركة صفين، دأب معاوية على إرسال مجموعات بهدف الإغارة على الأراضي التي كانت تخضع لسيطرة الإمام (ع) (ابن هلال الثقفي، بي تا: ٢ / ٤١٦ - ٤٢٣، ٤٦٩ - ٤٧٩، ٦٠٠ - ٦٢١)، (الشريف الرضي، لا تا: ٦٦ و ٧٢، الخطبة ٢٥ و ٢٩). توضح خطب الإمام (ع) بعد تلك الأحداث أنه كان يرى الجهاد والدفاع أمرين واجبين، وأن تركهما يسبب الذل والهوان: "أَمَّا بَعْدُ فَبِأَنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِيَأْسُ التَّقْوَى وَدَرُجَةُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجَنَّتْهُ الْوَيْقَةُ فَمَنْ تَرَكَ رَغْبَةً عَنْهُ الْبَيْتِ

صَوَّلِي" (الشريف الرضي، لا تا: ٥٤٥، الحكمة ٣٩٤) كان أمير المؤمنين (ع) يتبع هذا الأسلوب أثناء مواجهته للمجموعات الثلاثة من المحاربين ولم يتراجع قيد أنملة عنه في أي حال من الأحوال.

## ١-٢. الناكثون

خلال مواجهته لطلحة والزبير وتعامله معهما، بعث أمير المؤمنين (ع) بعدة رسائل لهما كما أرسل عدّة أشخاص إليهما وكم مرّة كان هو شخصياً (ع) يتحدث إليهما. يقول أمير المؤمنين (ع) في خطاب له موجّه لطلحة والزبير يخصّ اتهامات أطلقها الاثنان (الشريف الرضي، لا تا: ٣٢١-٣٢٢، الكلام ٢٠٥): "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ" (المصدر السابق).

كما يقول (ع) في رسالة له موجّهة للشخصين بعد إتمام الحجّة عليهما والإتيان بالأدلة والبراهين؛ (المصدر السابق: ٤٣٥-٤٣٦، الرسالة ٥٤) الآتي: "فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَعَ الْعَارُ وَ النَّارُ وَالسَّلَامُ" (المصدر السابق).

النقطة المثيرة للاهتمام في كلمات الإمام (ع) والتي تلفت النظر، هي أنّه (ع) بدأ بالمنطق والحجّة مع طلحة والزبير وأجاب على تهمهم التي أطلقوها بالأدلة والبراهين؛ وهذه السياسة مشهودة في تصريحاته وخطبه الأخرى، بينما الدعوة إلى الحقّ والعودة إلى الطريق السوي تأتي بعد هذه الحجج والمنطق. يبدو أنّه (ع) قد بدأ بتوضيح الحقّ والدعوة إليه، ولم يطالبهما بالعودة إلى الحق قبل توضيح الحقّ لهما. (المصدر السابق: ٣٢١-٣٢٢ و ٤٣٥-٤٣٦، الكلام ٢٠٥، الرسالة ٥٤؛ ابن أعثم الكوفي، ١٤١١ق: ٤٤٥/٢).

لم يكنف الإمام (ع) بكتابة الرسائل، بل أرسل عدّة مرات عبدالله بن عباس وأفراد آخرين من أجل إسداء النصح والتحدّث إلى هؤلاء الأفراد (طلحة والزبير وعائشة). (الطبري، لا تا: ٥٠٢/٣؛ المفيد، لا تا: ١٦٧-١٧٠)؛ الشريف الرضي، لا تا: ٧٤، الكلام ٣١). وفي يوم الحرب، تحدّث الإمام (ع) شخصياً إلى الزبير، وهذا الأمر سبّب في ترك الزبير لميدان الحرب ومغادرته له. (الدينوري، ١٣٧١: ٩٢/١؛ ابن أبي الحديد، ١٣٧٥: ١١٠-١١١).

يوضّح الإمام (ع) في كلام له أنّه سعى حثيثاً لإعادتهما إلى طريق الحق. لكنّهما لم يستفيدا من الفرصة التي سنحت لهما: "وَلَقَدْ اسْتَبْتَهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ فَعَمَطَا النَّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَاقِبَةَ" (الشريف الرضي، لا تا: ١٩٤-١٩٥، الكلام ١٣٧).

على هذا الأساس، فإنّ أمير المؤمنين (ع) لم يهدف في تعامله معهما سوى الخير والدعوة إلى الحق، وحتّى حينما أعلن أصحاب الجمل الحرب وبدأوا بإطلاق السهام نحو جيش الإمام (ع) لم يبدأ بالحرب ضدهم بل أرسل المصحف الشريف إليهم ودعاهم إلى كتاب الله (المفيد، ١٤١٣ق: ٣٣٩) لعلّهم ينصرفون عن الحرب.

عَلَيَّ... (الشريف الرضي، لا تا: ٥٤، الخطبة ١٠؛ المصدر السابق: ١٩٤-١٩٥، الكلام ١٣٧).

فالإستقامة والإلمام بالمعرفة بنود الحقّ، شروط أخرى يجب الحصول عليها بهدف مواجهة المحاربين والتعامل معهم. يذكر الإمام (ع) أنصاره في مواجهتهم لأصحاب الجمل بهذه النقطة: "وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصْرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ". (المصدر السابق: ٢٤٧-٢٤٨، الخطبة ١٧٣).

بعبارة أخرى، لن يمكن لأحد حمل راية المواجهة مع الظلمة والمعتدين من أهل القبلة، والمقصود بأهل القبلة هم أصحاب الجمل الذين يُعتبرون من مصاديق المحاربين) سوى أصحاب البصيرة والحكماء. وهؤلاء الذين يبدون الصبر مقابل الأحداث البغيضة، وأمام الوسواس يجتنبون التسرّع، ولديهم إمام كامل بقضايا الحق، بإمكانهم قيادة اولئك الأفراد. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/٢٢٦-٢٢٧).

لاحقاً يلفت الإمام (ع) انتباه الناس لمرعاة المبادئ الشاملة في الحرب ضدّ المعتدين من أهل القبلة، وهي عبارة عن العمل بمقتضى الأوامر التي تصدر إليهم، والإمتناع عمّا يُنهون عنه، وألا يستعجلوا في القيام بأعمال لم توضّح لهم على الوجه الأكمل (المصدر السابق: ٣/٢٢٧): "فَأْمُتُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَ لَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تَنْكِرُونَهُ غَيْرًا" (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٧-٢٤٨، الخطبة ١٧٣).

المقصود من الجملة الأخيرة هو أنّه في موضوع نفي أمر ما قام به الإمام (ع) أو أصدر أمره بخصوصه، ألا يستعجلوا قبل أن يتعلموا منه شخصياً كيفية أدائه والفائدة منه، والسبب أنّ الإمام (ع) بإمكانه تغيير وتبديل أيّ أمر لا يرغبون فيه، أي أن يحوّله إذا لم تكن فيه فائدة، وأن يقوم بإصدار أمر فيما لو كان هناك موضوع ينفونه هؤلاء أو يستأثرون منه كيف يمكنه توضيحه، لأنّه ربّما الأمر الذي يستأثرون منه ليس بالأمر القبيح، وبسبب عدم الإلمام بالأسباب والمصالح يقيمون الأمر على أنّه قبيح، لذا يتسارعون بنفيه عن طريق اللسان أو العمل، ونتيجة لذلك يتعرّضون للخطأ والإنزلاق. (ابن ميثم البحراني، ١٣٧٥: ٣/٢٢٧).

على هذا الأساس، أهم شروط التعامل مع المحاربين تتمثّل في البصيرة والصبر والإلمام بقضايا الحقّ، وفي غير هذه الأمور لو كان هناك شخص يملك العدّة والعتاد بصورة كافية، ليست لديه الصلاحية للقيام بمثل هذه المهمة أو المسؤولية.

## ٢. الإرشاد والإصلاح في التعامل مع المحاربين

يُتمثّل الحوار وإسداء النصيحة الحل الأساسي والرئيسي والدائم لأمر المؤمنين (ع) في تعامله مع المحاربين. كان (ع) يسعى من خلال هذا الأسلوب لإعادة الأفراد إلى جادة الصواب والحق، وبالتأكيد كان النجاح حليفه من خلال هذا الأسلوب. يوضّح أمير المؤمنين (ع) هذا السلوك في إحدى خطبه على الوجه التالي: "رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ

## ٢-٢. القاسطون

أرسل أمير المؤمنين (ع) عدّة رسائل في تعامله مع معاوية وطالبه بالكفّ عن العناد. كان يتمّ الحجّة على معاوية من خلال تلك الرسائل ويردّ على تهمة وإدعاءاته بالأدلة والبراهين وبالتالي كان يدعو إلى الحقّ. (الشريف الرضي، لا تا: ٢٤٧-٢٤٨ و ٣٦٩-٣٧٠ و ٤٥٤-٤٥٥، الخطبة ١٧٣، الرسائل ٩ و ١٠ و ٦٤).

دعا الإمام (ع) في إحدى رسائله معاوية إلى التقوى، وحذّره من الخروج عن الطاعة الإلهية التي تُعتبر إشارات واضحة لا لبس فيها؛ وبموجب هذا طلب منه العودة إلى الحقّ: "فَأَتَى اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وَأَرْجِعْ إِلَيَّ مَعْرِفَةَ مَا لَا تُعْذِرُ بِجَهَالَتِهِ فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَغْلَامًا وَاضِحَةً وَسُبُلًا نَبِيْرَةً وَمَحَجَّةً نَهَجَةً وَغَايَةً مُطَلَبَةً يَرُدُّهَا الْأَكْبَاسُ وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي النَّيْبِ وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ وَحَيْثُ تَأَهَّتْ بِكَ أُمُورٌ فَقَدْ أُجْرِيَتْ إِلَيَّ غَايَةٌ خُسْرٍ وَمَحَلَّةٌ كُفْرٍ فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا وَأَفْحَمَتْكَ غَيًّا وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكِ وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكِ" (المصدر السابق: ٣٩٠، الرسالة ٣٠).

إضافة إلى أنّ أمير المؤمنين (ع) في رسالة أخرى لمعاوية يعرفّ الدنيا كمكان للاختبار والتمحيص، ويحذّره من الوقوع في حبال الشيطان ويخوّفه من العذاب الإلهي، ومرة أخرى يطالبه بالعودة إلى الحقّ وإلى التقوى. (المصدر السابق: ٤٣٦-٤٣٧، الرسالة ٥٥). وفي رسالة أخرى، يدعو الإمام (ع) معاوية للتفكير والتأمل وتجنّب الخلط بين الحقّ والباطل وفي النهاية يطالبه مرة أخرى بالعودة إلى طريق الحقّ: "أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عَيَانِ الْأُمُورِ... فَاحْذَرِ الشُّبُهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَقَتْ جَلَابِيْبَهَا وَأَغَشَتْ الْأَبْصَارَ ظَلَمْتُهَا... فَمِنْ الْآنَ فَتَدَارِكُ نَفْسَكَ وَأَنْظُرْ لَهَا فَإِنَّكَ إِنْ فَرَطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ أُزِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَمُبِغَّتْ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ وَالسَّلَامُ" (المصدر السابق: ٤٥٥-٤٥٦، الرسالة ٦٥).

وبعد أن ثبت لأمر المؤمنين (ع) أنّ الرسائل المكرّرة لمعاوية لم تؤت ثمارها، بعث إليه جرير بن عبدالله بجلي الذي كان من أنصار عثمان ومن أصدقاؤه، على أمل إعادة معاوية إلى الطريق السوي عن طريق منطقته الخاصّ (جعفري، ١٣٧٢: ١/ ٤٨١). وفي هذه المعمعة، طلب أنصار الإمام (ع) منه أن يستعدوا للحرب، لكنّ الإمام (ع) تفضّل قائلاً في الردّ عليهم: "إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٍ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصِرْفٌ لِأَهْلِيهِ عَنِ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ وَلَكِنْ قَدْ وَقَعْتُ لِجَرِيرٍ وَفَنَّا لَا يَقْتِيْمُ بَعِيدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ غَاصِيًّا وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأُنَاةِ فَمَارُودُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ" (الشريف الرضي، لا تا: ٨٤، الكلام ٤٣).

يلفت أمير المؤمنين (ع) النظر في هذه الخطبة إلى أنّه على الرغم من جميع الجهود التي بذلناها، لاتزال إمكانية عودة أهل

الشام إلى الخير موجودة (إن لم يكن كلّهم بل قسم منهم) ولو توقّفنا عن السعي لمنعنا عودتهم.

وبعد القتال للاستيلاء على مصدر المياه في صفّين، لم يسمح أمير المؤمنين (ع) بالقتال لفترة زمنية، كما كان أهل الشام يلتقون وهم مطمئنون من أصحاب الإمام (ع) وأهل العراق على ضفة النهر ولم يُسجّل أيّ احتكاك بينهم. فقد كان تأخير الإمام (ع) في الحرب مقصوداً حيث أنّ قسماً من أهل الشام لم يكونوا على معرفة بشخصية وأهداف ومقاصد الإمام (ع) بسبب دعايات معاوية، ولكي يقفوا على أخطائهم وأخطاء معاوية ويسلكوا طريق الهداية. ولكن البعض من أهل العراق أبدوا إمتعاضهم من التأخير ووجهوا كلامهم للإمام (ع): يا أمير المؤمنين، نحن لم نترك منازلنا وعائلاتنا من أجل الإقامة في الصحراء، اصدر أوامر الحرب. كما أخبروه (ع) أنّ الناس يتحدثون عن هذا التأخير، والبعض منهم يقول: إنّ يهاب الموت، بينما البعض الآخر يقول: يبدو وجود شبهة في حلالية أو شرعية القتال مع أهل الشام. (جعفري، ١٣٧٢: ١/ ٥٤٦-٥٤٧).

لكنّ الإمام (ع) ذكر في معرض ردّه عليهم الآتي: "أَمَّا قَوْلُكُمْ أ كُلُّ ذَلِكْ كَرَاهِيَّةَ الْمَيُوتِ فَوَاللَّهِ مَا أُرِيَالِي دَخَلْتُ إِلَيَّ الْمَيُوتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتِدِي بِي وَتَعُشُّوْ إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضِلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوْءُ بِأَتَائِهَا" (الشريف الرضي، لا تا: ٩١، الكلام ٥٥).

وكلّ هذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على نفسية الإمام (ع) التوجيهية والإمتناع عن القتال وسفك الدماء.

## ٣-٢. المارقون

إنكبّ الإمام (ع) على الحوار والحجّة والمنطق في تعامله مع الخوارج ودعاهم للعودة إلى طريق الحقّ. (الظريف الرضي، بي تا: ٨٢ و ١٧٨-١٧٩ و ١٨٢-١٨٣، الكلام ٤٠، الكلام ١٢٢، الخطبة ١٢٥) حتّى بعد أن أمعن الخوارج في القتل، نرى أمير المؤمنين (ع) يطلب منهم العودة ويتحدّث إليهم مراراً وتكراراً. ولعدّة مرّات نراه (ع) يبعث بعبدالله بن عباس وصعصعة بن صوحان إليهم من أجل الحوار والنقاش. (البلاذري، ١٣٩٤: ٣٦٠ & ٣٥٣-٣٥٤؛ الشريف الرضي، لا تا: الوصيّة ٧٧) كما أنّه يصدر توجيهاته بتشكيل مجموعة تضمّ اثني عشر شخصاً من الطرفين كي يجتمعوا ويتحاججوا فيما بينهم (البلاذري، ١٣٩٤: ٣٥٣). ولاحقاً يذهب قيس بن سعد بن عبادة ويتحاجج معهم، حتّى أنّ الإمام (ع) يذهب بنفسه حاملاً راية الأمام طالباً منهم العودة إلى الطريق السوي. (المصدر السابق: ٣٧٠-٣٧١) وكلّ هذا المجهود والسعي كانا بهدف هداية وخير هؤلاء فقط، فطلب الخير هذا واضح تماماً في الخطبة التي وجهها الإمام (ع) للخوارج: "فَأَنَا نَدِيْرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَغِي بِأَتَائِهِ هَذَا النَّهْرَ وَبَاهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى



هذا التصرف يوضح على أحسن وجه أن الإمام (ع) لم يكن ينسى هدفه المتمثل بالله سبحانه وتعالى في معمعة القتال، وكان يتحرك بهذا الفكر على الدوام. كان أمير المؤمنين (ع) يعلم أفراده ومناصريه هذه النظرة ويذكرهم أثناء القتال أن الهدف هو الهداية والمضي في طريق الله سبحانه وتعالى: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْجَوْ الْمَكْفُوفِ ... إِنَّ أَظْهَرْنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَبَّنَا الْبَغْيَ وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَأَعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ". (المصدر السابق: ٢٤٥-٢٤٦، الكلام ١٧١).

كما أنه (ع) كان يأمر أفراده ومناصريه بمراعاة حقوق البشر ويعلمهم الآداب الإنسانية في الحروب؛ ومن تلك الآداب الكامنة في كلمات أمير المؤمنين (ع) والتي تلفت النظر: لاتكونوا البادئين (المصدر السابق: ٣٧٣، الوصية ١٤) ولا الداعين (المصدر السابق: ٥٠٩، الحكمة ٢٣٣) للحرب على الإطلاق، ولاتحاربوا سوى من يحاربكم (المصدر السابق: ٣٧٢، الوصية ١٢). ولاتدعوا العداوة والبغضاء تدفعكم لقتال العدو قبل أن تدعوهم إلى طريق الحق وتغلقوا مسير الاعتذار أمامهم (المصدر السابق: ٣٧٢، الوصية ١٢). ولو انهزم العدو بإذن الله، لاتقتلوا الفار، ولاتلحقوا الأذى بالعاجز، ولاتقتلوا الجريح، ولاتثيروا مشاعر النسوة عن طريق الأذى. (المصدر السابق: ٣٧٣، الوصية ١٤). فجميع تصرفات الإمام (ع) تدل على حبه للإنسان وإشتياقه ورغبته لهديته.

#### الخاتمة

خلال تولي الإمام (ع) الخلافة كان يسعى على الدوام لهداية البشر وطلب الخير لهم، وهذه النفسية واضحة جداً في مواجهته لمعارضيه وتعامله مع المحاربين.

ضرورة مواجهة المحاربين في كتاب نهج البلاغة مبنية على ثلاثة عناصر رئيسية؛ ضرورة توقيف من يفسد في الأرض وينشر الظلم؛ وجوب الثبات على البيعة وضرورة إعادة من نكث بيعته أو يطلب شيئاً لاحقاً له فيه؛ وجوب الدفاع عن الثغور وحرمة الأراضي، على كل مسلم.

ومن ثم فإن مصاديق المحاربين في زمن الإمام (ع) تنطبق على ثلاث مجموعات هي الناكثين والقاسطين والمارقين. شروط التعامل مع هذه المجموعات ومواجهتها من وجهة نظر الإمام (ع) كانت تتمثل في الصبر والبصيرة والإلمام بمكونات الحق. وفي تعامل أمير المؤمنين (ع) مع تلك المجموعات ومواجهتها، كان (ع) في البداية يتحاور معهم بأساليب متعددة، وبعد أن أتم الحجّة والمنطق عليهم وردّ الشبهات، دعاهم للعودة إلى الحق، وفي هذا المجال لم يتردد في أيّ مسعى، وحتى اللحظات الأخيرة كان على أمل أن يعود البعض منهم عن غيهم.

أما حينما صارت المحاولات غير مثمرة ولم تتم جميع الجهود لإعادة الأفراد، وكانوا يستمرّون في فسادهم وسفك الدماء، لم ير الإمام (ع) بُدأً من قتالهم. لأنهم كانوا يعتدون على حقوق المسلمين. ولكن هذا لا يعني أن الإمام (ع) قد يئس من هداية المحاربين وطلب الخير لهم في هذه المرحلة، لأن الإمام لم يكن البادئ بالحرب على الإطلاق

غَيْرِ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ" (الشريف الرضي، لا تا: ٨٠، الخطبة ٣٦).

ما شوهد في تصرف الإمام (ع) في هذا المجال، هو أنه لم يكن يرغب في حصولهم على الهداية بشكل أعمى أو بدون منطق، كما يتضح ذلك في هذه الأحاديث والخطب، لكن الإمام (ع) كان يريد عودة الأفراد إلى الحق عن طريق تذكيرهم بالدليل والمنطق، وإيقاظ عقولهم وتذكيرهم بالله والمعاد.

#### ٣. القتال آخر أسلوب في التعامل مع المحاربين

كان أمير المؤمنين (ع) في مواجهته مع المحاربين يطلب منهم العودة إلى الطريق السوي بأسلوب النصيحة والحوار. والآن هذا السؤال يطرح نفسه، ما هو العلاج إذا لم تتم هذه الحوارات والنصائح، واستمرّ هؤلاء في غيهم وزادوا من فسادهم؟ يتضح من سلوك أمير المؤمنين (ع) عدم وجود بديل عن القتال في هذه الظروف مع دعاة الحروب والذين لا يترددون في دخول معركتها " وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتَنِي سَعْنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ (ص) فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوْتَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ " (الشريف الرضي، لا تا: ٩٠-٩١، الخطبة ٥٤).

إن أمير المؤمنين (ع) لم يتراجع عن الخير والإنسانية حتى في معمعة القتال، وقد كان يسعى لهداية البشر حتى في مثل هذه الظروف، وكما كان يحذّر أفراده من اللعن قائلاً: " وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ يَا هُمْ اللَّهُمَّ احْفَظْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهَلَهُ وَيَرْعَوْي عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ " (المصدر السابق: ٣٢٣، الكلام ٢٠٦).

وبعد انتهاء حرب الجمل، وحينما كان الإمام (ع) يمرّ بالقرب من جسد طلحة قال: " لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتَلِي تَحْتَ بُطُونِ الْكُؤَاكِبِ " (المصدر السابق: ٣٣٧، كلام ٢١٩).

هذه الكلمات توضح كم كان أمير المؤمنين (ع) متضامناً من القتال وسفك الدماء، وكان يلجأ إلى الحرب في حالات الضرورة فحسب. وحينما كانت الحرب تشتدّ في صفين ويمتطي الإمام (ع) جواده، كان يبدأ بالبسملة ويقول: " الحمد لله على نعمه وفضائله كلها، سبحانه الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ".

وكان يتوجه صوب القبلة ويرفع يديه ويقول: " اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَشَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَوَأَنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْنُونُ السَّنَانِ وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَكثرة عدونا وَتَشْتَتِ أَهْوَانِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ " (الشريف الرضي، لا تا: ٣٧٣-٣٧٤، الدعاء ١٥، التعاميم)

- أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (١٣٧٩).  
نهج البلاغة، ترجمة حسين أنصاريان. الطبعة الرابعة. طهران: بياض آزادي للنشر.
- أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (١٣٧٨).  
نهج البلاغة. ترجمة سيّد جعفر شهيدى. الطبعة الرابعة عشرة. طهران: شركة المنشورات العلمية والثقافية.
- طباطبائي، سيّد محمد حسين (١٣٧٤). الميزان في تفسير القرآن. ترجمة سيّد محمد باقر موسوي الهمداني. قم: مكتب المنشورات الإسلامية لرابطة مدرّسي الحوزة العلمية في قم.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (بي. تا). تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصحّحه وسجّله نخبة من العلماء الأجلّاء. بيروت: منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (١٤٠٧ ق). نهديب الأحكام. تحقيق حسن الموسوي خراسان. طهران: دار الكتب الإسلامية.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (١٤٠٩). التبيان في تفسير القرآن. تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي. بي. جا: مكتب الإعلام الإسلامي.
- العياشي، محمد بن مسعود (بي. تا). تفسير العياشي. تحقيق الحاجّ السيّد هاشم الرسولي المحلاتي. طهران: المكتبة العلمية الإسلامية.
- فراهيدي، خليل بن أحمد (١٤١٠ ق). كتاب العين. الطبعة الثانية. قم: نشر هجرت.
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (١٤٠٧). الكافي. صحّحه وقابله الشيخ نجم الدين الآملي، قدّم له وعلّق عليه علي أكبر غفّاري ومحمد آخوندي. طهران: دار الكتب الإسلامية.
- المجلسي: محمد باقر بن محمد تقى (١٤٠٣). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- مصطفوي، حسن (١٣٦٠). التحقيق في كلمات القرآن الكريم. طهران: مؤسّسة الترجمة ونشر الكتب.
- المفيد، أبو عبدالله محمد بن النعمان البغدادي (١٤١٣). الجمل والنصرة للسيّد العترة في حرب البصرة. تحقيق السيّد علي مير شريفى. قم: مؤتمر الشيخ المفيد.
- المنقري: أبو الفضل نصر بن مزاحم (١٤٠٣). وقعة صفين. تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون. القاهرة: المؤسّسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة، ١٣٨٢ ق. طباعة الأوفست في قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

بل كان جهاده وقتاله من أجل إعادة المحاربين إلى طريق الحقّ، حتّى أنّ أمير المؤمنين (ع) كان ينكبّ على التوضيح والهداية في بدء القتال، وأثناء المنازلة.

#### المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد (١٣٧٥). تجلّي التاريخ في شرح نهج البلاغة. ترجمة محمود مهدي دامغاني. الطبعة الثانية. طهران: دار ني للنشر.
- (١٣٣٧). شرح نهج البلاغة. تصحيح محمد أبو الفضل إبراهيم. قم: مكتبة المرحوم آية الله مرعشي نجفي العامّة.
- ابن أعثم الكوفي، أحمد (١٤١١). كتاب الفتوح. تحقيق علي شيري. بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن طاووس، علي بن موسى (١٤١٣). اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بإمرة المؤمنين. قم: دار الكتاب.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٤٠٤ ق). معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. قم: مكتبة الإعلام الإسلامي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤). لسان العرب. الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر.
- ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي (١٣٧٥). شرح نهج البلاغة. ترجمة قربانعلي محمّدي مقدّم و علي أصغر نوايي يحيى زاده. مشهد: مؤسّسة العتبة الرضوية المقدّسة للأبحاث الإسلامية.
- ابن هلال النفسي، إبراهيم بن محمد (بي. تا) الغارات. تحقيق السيّد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث. بي. جا: بينا.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (١٩٧٤). أنساب الأشراف. تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.
- جعفري، محمد مهدي (١٣٧٢). شعاع من نهج البلاغة (مع نقل المصادر والتطبيق مع روايات المصادر الأخرى). طهران: وزارة الثقافة والمنشورات الإسلامية، مؤسّسة الطباعة والنشر.
- الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (١٣٧١). الإمامة والسياسة. تحقيق علي الشيريني. قم: الشريف الرضي للنشر.
- الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (١٣٦٤). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة. تصحيح سيّد عبد اللطيف كوهكمري. قم: مكتبة المرحوم آية الله مرعشي نجفي العامّة.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (لا تا). نهج البلاغة، تصحيح صبحي الصالح. قم: مؤسّسة دار الهجرة.